بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي جعل للخير والطَّاعات مواسم يضاعف فيها الأجر للمجتهدين، وتغفر فيها ذنوب المتقرِّبين إليه مؤمنين محتسبين، ولا شكَّ أنَّ أعظم هذه المواسم فضلاً وأكثرها بركةً وخيرًا شهر رمضان الَّذي أنزل فيه القرآن، هذا الشَّهر الَّذي قال فيه النَّبيُّ الكريم ﷺ مستقبلاً له وحاثًّا أمَّته أن يغتنموا فرصته الَّتي قد لا تعود أبدًا: «**أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ**» [رواه النَّسائي والبيهقي وهو حسن].

فهو شهر مبارك، أي: كثير الخير، عظيم الفضل، فرض الله علينا صيامه، فهو شهر الصِّيام، والصِّيام أوجب وظائفه وأعظمها، إلاَّ أنَّ وظائف أخرى اجتمعت معه زادت في فضله ودلَّت على بركته، وكأنَّ الله تعالى أراد لنا أن نجمع الخير كلَّه في هذه الأيَّام.

فمن الوظائف الَّتي رغَّبنا فيها في هذا الشَّهر:

□ الصَّدقة:

لمَّا كانت الصَّدقة برهانًا كما نطق بها الصَّادق المصدوق ﷺ؛ برهانًا على صدق الإيمان والاحتساب عند الله تعالى، لا يرجو المؤمن من ورائها إلاَّ مرضاة ربِّه ـ جلَّ وعلا ـ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [سُورَةُ الإِنسَانِ].

وافق هذا الإخلاص إخلاصَ النِّيَّة في الصِّيام: «**إلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»؛ لأنَّ الصَّائم لا يريد من صيامه جزاءً ولا شكورًا من النَّاس، بل يبتغي مرضاة ربِّ النَّاس.

والإنفاق من أعظم الأعمال الَّتي وصف الله بها نبيَّه ﷺ، بل والَّتي تميَّز بها في هذا الشَّهر كما وصفه أعرف النَّاس به من أصحابه بقوله: «كان أجود النَّاس وكان أجود ما يكون في رمضان»؛ لأنَّه شهر الجود والإحسان، الَّذي يقوِّي الرَّوابط بين أهل الإيمان ويزيد في الألفة بينهم.

هذا عن عموم الصَّدقات والإنفاق الَّذي رغَّبنا فيه ترغيبًا عظيمًا، «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَصَدَّقُ بِالكِسْرَةِ تَرْبُوا عِنْدَ اللهِ . عَزَّ وَجَلَّ . حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ**» [«ضعيف الجامع» (150)، وقال في «صحيح الترغيب»: حسن].

ومن أخصِّ صدقات هذا الشَّهر المبارك إفطار الصَّائمين، الَّذي ورد في فضله وأجره: «**مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ**» [التِّرمذي والنَّسائي وابن ماجه وهو صحيح].

فبادر يا أخي، وسارع إلى الخير والإنفاق في سبيل الله بما يسَّر الله لك، وتذكَّر إخوانًا لك قد أرهقهم الفقر وأثقلت كواهلهم الحاجة، فأحسن إليهم، واحتسب هذا عند الله تعالى.

□□□

□ تلاوة القرآن:

وظيفة أخرى من وظائف هذا الشَّهر كذلك، هي تلاوة القرآن، القرآن الَّذي قرن بهذا الشَّهر: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البَقَرَة: 185].

في هذا الشَّهر أنزل الله كتابه، وفيه كان النَّبيُّ ﷺ يتدارسه مع جبريل، بل إنَّ هذه المدارسة كانت السَّبب في مضاعفة الطَّاعات والاستزادة من القربات من قبله ﷺ كما دلَّ عليه مفهوم قول الواصف له: «حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن»، فبالقرآن تلين القلوب وتترغَّب الطَّاعات وتشتاق إلى بارئها ـ جلَّ وعلا ـ وعلى هذا جرى عمل السَّلف واجتهادهم مع كتاب الله في هذا الشَّهر، كما روي عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه كان إذا دخل رمضان أغلق كتبه وأخذ المصحف ومنع الفتوى والمساءلة مع النَّاس، وقال: «هذا هو شهر رمضان، هذا هو شهر القرآن، فيمكث في المسجد حتَّى ينسلخ شهر رمضان».

وكذلك كان حال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ وغيرهما، بل روي عن بعضهم أنَّه كان يختم القرآن كلَّ ليلة، وإن كان في هذا مخالفة للسُّنَّة، إلاَّ أنَّ القصد بيان اجتهادهم، لذا ينبغي علينا أن نسير على آثار القوم ونجتهد اجتهادهم لعلَّنا نقترب من منازلهم، ولنخصِّص من أوقاتنا وقتًا لتلاوة القرآن وسماعه ومدارسة التَّفسير رجاء أن نكتب عند الله من أهل القرآن، «**أَهْلُ القُرْآنِ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**» [«صحيح الجامع» (2528)].

□□□

□ قيام اللَّيل:

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ الجمع بين الصِّيام والصَّدقة أبلغ في تكفير الخطايا واتِّقاء جهنَّم والمباعدة عنها، وخصوصًا إن ضمَّ إلى ذلك قيامَ اللَّيل، كما ورد في الحديث: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا**»، قالا: لمن هي يا رسول الله؟! قال: «**لِمَنْ طَيَّبَ الكَلاَمَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى باللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**» [رواه أحمد وابن حبان في «الصَّحيح» وهو حسن].

وقال أيضًا: «**الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَقِيَامُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**» يعني أنَّه يطفئ الخطيئة».

والسِّرُّ في زيادة فضلها عند اجتماعها؛ أنَّ كلَّ واحدة من هذه الطَّاعات فيها مجاهدة للنَّفس على طاعة الله وقهر لها وحملها على خلاف ما تهوى، ومن جهة أخرى تدلُّ على إخلاص صاحبها لله تعالى في عمله وحبِّه له، وحرصه الشَّديد على تحصيله، يدلُّ لهذا ماجاء في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ اليَوْمَ صَائِمًا؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**مَنْ تَبِعَ اليَوْمَ جَنَازَةً؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ مَرِيضًا؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**مَا اجْتَمَعْتَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الجَنَّةَ**»؛ لأنَّها لا تجتمع إلاَّ لصادق صدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

□□□

□ الاعتكاف:

ومن هذه الوظائف الاعتكاف الَّذي يكون في العشر الأواخر من هذا الشَّهر المبارك وفي هذا بيان للأصل العظيم ـ الأصل في الأعمال بالخواتيم ـ أو العبرة بكمال النِّهاية لا بنقص البداية، فإذا قصَّر المسلم في بداية الشَّهر ولم يجتهد حقَّ الاجتهاد، فالفرصة مواتية نهاية الشَّهر لعلَّه يستدرك ما فات.

والاعتكاف حقيقته قطع العلائق عن الخلائق للاتِّصال بخدمة الخالق، وكلَّما قويت المعرفة بالله والمحبَّة له والأنس به؛ أورثت

صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلِّيَّة، كما ذكرها الحافظ ابن رجب عليه رَحِمَهُ اللَّهُ. [«لطائف المعارف» (214)]

ولنا أسوة في هذا بنبيِّنا الكريم ﷺ الَّذي سنَّ لأمَّته الاعتكاف وواظب عليه، فكان إذا دخل العشر الأواخر دخل معتكفه وكذلك أصحابه اقتداءً به.

ففي «الصَّحيحين» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شدَّ مئزره وأحيى ليله وأيقظ أهله»، وفي رواية مسلم: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره».

هذا لأنَّ النُّفوس الزَّكيَّة الَّتي تأنس بذكر ربِّها وتطمئنُّ به؛ تجدها ترغب في الخلوة مع الله لتجدِّد إيمانها وتتعرَّض للنَّفحات الإيمانيَّة الَّتي لا يتذوَّق حلاوتها إلاَّ من أكرمه الكريم المنَّان بهذا الفضل العظيم، ولمَّا كان الله تعالى إنَّما خلقنا لعبادته، وهو لا يعبد إلاَّ بما شرع، كان في سنَّة الاعتكاف تحقيق لهذه الفائدة وإظهار لهذه المزيَّة الَّتي تجلَّت في هذا الموسم المبارك؛ لأنَّ الاعتكاف لا يفضل إلاَّ في هذا الزَّمن المخصوص وفي تلك الأماكن المخصوصة: «**لاَ اعْتِكَافَ إِلاَّ فِي المَسَاجِدِ الثَّلاَثَةِ**»، وهذا من تمام الاتِّباع.

فالاعتكاف انقطاع وإقبال، انقطاع عن الدُّنيا وشواغلها، وإقبال على الله تعالى بالكلِّيَّة، أو كما قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وشرع لهم الاعتكاف الَّذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله وجمعيَّته عليه والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبُّه الإقبال عليه في محلِّ هموم القلب وخطراته فيستولي عليه بذلها» [«زاد المعاد» (86/2)].

□□□

□ العمرة:

من الوظائف الشَّرعيَّة الدَّالَّة على أنَّ هذا الشَّهر تضاعف فيه الأجور وترفع فيه الدَّرجات، كيف لا؟! وللعمرة في رمضان بالذَّات فضل كبير، بل إنَّ العمرة في رمضان تميَّزت بفضل خاصٍّ، ما ورد في غيرها من القربات، فقد صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ فيما يرويه البخاريُّ

أنَّه قال: «عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً ـ أو قال: ـ حَجَّةً مَعِي»، تعدل حجَّة مع النَّبيِّ ﷺ في فضلها ودرجتها.

فاحرص أخي الكريم، يا من وسَّع الله عليك في الرِّزق! أن تغتنم هذه الفرصة العظيمة لتعيش أجواء إيمانيَّة في رحاب بيت الله الحرام.

□□□

□ تحرّي ليلة القدر:

ليلة القدر أعظم ليلة عند الله تعالى وأكثرها بركة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدُّخَان: 3]، وبركتها تكمن في اصطفاء الله تعالى لها لتكون اللَّيلة الَّتي تنزَّل فيها القرآن، وأنَّه لحدث عظيم، وتحرِّيها يكون باجتهاد المؤمن في العشر الأواخر وخاصَّة في الليالي بالعبادة من قيام وقراءة للقرآن وذكر ودعاء؛ لأنَّ ثواب العبادة في هذه اللَّيلة أفضل من ثوابها في ألف شهر كما قال ربُّ العزَّة والجلال: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [سُورَةُ القَدْر]، ليلة هذا فضلها، من حرمَها فقد حرمَ الخير كلَّه ولا يحرم خيرها إلاَّ محروم، وقد رغَّب النَّبيُّ ﷺ في قيامها وطلب موافقتها أيَّما ترغيب بقوله: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [البخاري ومسلم].

قال الشَّوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وشرفها مستلزم لقبول دعاء الدَّاعين فيها، ولهذا أمرهم ﷺ بالتماسها، وحرَّض الصَّحابة على ذلك، وحرَّض الصَّحابة على ذلك غاية التَّحريض، وكرَّروا السُّؤال عنها وتلاحوا في شأنها رضي الله عنهم» [«تحفة الذَّاكرين» (55)].

وممَّا يدلُّ على أنَّ الدُّعاء فيها مجاب؛ ما صحَّ عن عائشة رضي الله عنها فيما رواه التِّرمذي وابن ماجه والحاكم أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لها أن تقول في ليلة القدر: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**».

□□□

□ الدُّعاء:

ممَّا سبق يتبيَّن أنَّ الدُّعاء من أعظم وظائف هذا الشَّهر المبارك، كيف لا؟! وهو شهر الإقبال على الله والتَّبتُّل إليه و«**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**» كما صحَّ هذا عن النَّبيِّ ﷺ فيما رواه أحمد وغيره ـ

رحمهم الله ـ، والصِّيام مظنَّة لاستجابة الدُّعاء وخاصَّة في رمضان حيث خصَّ الله فيه كلَّ مسلم باستجابة دعوة من دعائه، «**إِنَّ لله فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عُتَقَاءَ مِنَ النَّارِ، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَإِنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ دَعْوَةً يَدْعُو بِهَا، فَيُسْتَجَابُ لَهُ**» [الحاكم وهو صحيح].

فأقبل على الله، يا أخي! في هذا الشَّهر الكريم وأكثر من الدُّعاء حال صيامك وقيامك، واجتهد في هذه الوظائف الجليلة لعلَّ الله يتقبل منك طاعة فتكون من الفائزين: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [سُورَةُ المَائِدَة]، ثمَّ قال وعدًا: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١﴾ [سُورَةُ النَّبَإ].

فبادر أخي الكريم! لاغتنام هذه الفرصة الثَّمينة، بملء الأوقات بأنواع الطَّاعات والزِّيادة في القربات؛ تجديدًا لإيمانك، وتطهيرًا لذنوبك، لعلَّك تكون بعده ضمن الَّذين غفرت ذنوبهم وأعتقت رقابهم، فالكيِّس من اغتنم الفرص وأقبل على طاعة مولاه في مثل هذا الموسم الكريم.

بادر الفرصة واحذر فوتها
فبلوغ العزِّ في نيل الفرص

اشترك الآن في مجلة

بـ 900 دج فقط
لمدة سنة

تصلك إلى بيتك

حي باحة (3)، رقم (28) الليدو. المحمدية. الجزائر
الهاتف والفاكس: 63 94 51 (021) / الجوال: 92 99 06 (0559)
التوزيع (جوال): 08 53 62 (0661)
البريد الإلكتروني: darelfadhila@hotmail.com
الموقع على الشبكة العنكبوتية: www.rayatalislah.com

سلسلة مطويات الفضيلة ④

وظائف المسلم في
رمضان

أزهر سنيقرة
إمام خطيب - الجزائر العاصمة

دار الفضيلة
للنشر والتوزيع